

مركز تحقيق التراث  
بمكتبة جامعة القاهرة

# فصول

مجلة النقد الأدبي

تصدر كل ثلاثة أشهر

المجلد الأول  
العدد الثالث  
أبريل ١٩٨١  
جمادى الآخرة ١٤٠١

٣

كتابخانه و مركز اطلاع رساني  
بنیاد و ايرتة الماساني اسلامي

# فصول

مجلة النقد الأذبي

تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة صلاح عبد الصبور

مستشارو التحرير

زك نجيب محمود  
سهير القلماوى  
شوقي ضيف  
عبد الحميد يونس  
عبد القادر القط  
مجدى وهبه  
مصطفى سويف  
نجيب محفوظ  
يحيى حقى

رئيس التحرير

عز الدين اسماعيل

نائب رئيس التحرير

جابر عصفور

مدير التحرير

سامى خشبة

سكرتيرة التحرير

اعتدال عثمان

الإخراج الفنى

فتحي أحمد

التفنيذ الفنى

إبراهيم السعدنى

## ● الاشتراكات من الخارج :

عن سنة ( أربعة أعداد ) 15 دولاراً للأفراد و 25 دولاراً للهيئات . مضاف إليها مصاريف البريد ( البلاد العربية - ما يواكب 5 دولار )  
( أمريكا وأوروبا 15 دولار )

## ● ترسل الاشتراكات على العنوان التالى :

عجلة فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب شارع كورنيش النيل - بولاق - القاهرة - ج . ع . م طبرن الله 977119

## ● الاعلانات

تال عليها مع إدارة مجلة أو متروها المصنفين .

## ● الأسعار فى البلاد العربية

الكويت 750 ل.س - الخليج العربى 15 ريالاً لقرى - البحرين 1 دينار - العراق 1 دينار - سوريا 12 ليرة - لبنان 10 ليرة - الأردن 800 ل.س - السعودية 15 ريالاً - السودان 1 جنيه - تونس 1 دينار - الجزائر 15 ديناراً - المغرب 15 درهماً - اليمن 12 ريالاً - ليبيا 1 دينار

## ● الاشتراكات

## ● الاشتراكات من الداخل :

عن سنة ( أربعة أعداد ) 300 قرشاً . . . مصاريف البريد 100 قرش  
ترسل الاشتراكات بجملة بريدية حكومية .

٥	أما قبل .. .. .
٦	هذا العدد .. .. .
١٣	التقد العري القديم والمنهجية .. .. . عبد القادر القط
٣٣	قراءة في دلالات الاعجاز .. .. . مصطفى ناصف
٤١	السيمبوتيقا : مفاهيم وأبعاد .. .. . أمينة رشيد
٥٥	سيمبولوجيا اللغة .. .. . ترجمة : سيزا قاسم
٦٧	سيمبولوجيا المسرح .. .. . سامية أسعد
٧٩	استدارة الزمن عند جارتيا ماركيز .. .. . تأليف : سيزار سيجر
	ترجمة : اعتدال عثمان
٩٩	التفسير الأسطوري في التقد الأدبي .. .. . سمير سرحان
١٠٥	المسح الأسطوري مقارنا .. .. . فريال غزول
١١٥	التفسير الأسطوري للشعر القديم .. .. . أحمد كمال زكي
١٢٧	التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي .. .. . إبراهيم عبد الرحمن
١٤١	المرمبوتيقا ومعضلة تفسير النص .. .. . نصر أبو زيد
١٦١	نقاد نجيب محفوظ : ملاحظات أولية .. .. . جابر عصفور
١٨١	التناول الظاهري للأدب - نظريته ومناهجه .. .. . تأليف : روبرت ماجليولا
	ترجمة : عبد الفتاح الديدي
١٩٣	المدخل الأنطولوجي .. .. . تأليف : و. ك. ويمزات
	ترجمة : ماهر شفيق فريد
٢٠٥	أورويل الناقد الأدبي .. .. . رمسيس عوض
٢١٩	جورج إليوت بين النقاد .. .. . إنجيل بطرس سمعان
٢٣٣	اتجاهات التقد الرئيسية في القرن العشرين .. .. . تأليف : رينيه وبليلك
	ترجمة : إبراهيم حمادة
٢٤١	ندوة العدد (مشكلة المسح في التقد العري المعاصر) إعداد : أحمد بدوي
٢٥٩	الواقع الأدبي .. .. .
	مجرية نقدية :
٢٦١	تحليل سيمبولوجي لمسرحية الأستاذ .. .. . هدى وصفي
	مناهب أدبية :
٢٦٧	الأعمى والذئب واللقاء المستحيل .. .. . سيد التناج
٢٧٣	محاولة لاكتشاف الحدود .. .. . سامي خشب
	عرض دراسات حديثة :
٢٨٢	نقد الرواية .. .. . تأليف : نيلة إبراهيم
	عرض : مدحت الجيار
٢٨٩	حركة الابداع .. .. . تأليف : خالدة سعيد
	عرض : محمد بدوي
٢٩٣	استدعاء الشخصيات التراثية .. .. . تأليف : علي عشري زايد
	عرض : يسرى العزب
	الدوريات الأجنبية :
	الدوريات الإنجليزية .. .. . نادية الحوي
٢٩٨	فؤاد أحمد .. .. .
٣٠٢	الدوريات الفرنسية .. .. .
	رسائل جامعية :
٣٠٤	عرض رسائل .. .. . نناء أنس الوجود
٣٠٩	بيلوجرافيا .. .. .
	تقارير :
٣١١	مؤتمر الفولكلور والتنمية الاجتماعية .. .. . نيلة إبراهيم
٣١٤	مؤتمر رفاعة الطهطاوي .. .. . نصر عبد الله
	ترجمة محمود عباد .. .. .
	This Issue -

## محتويات العدد

## مناهج التقد الأدبي المعاصر

## الجزء الثاني

# سيمولوجيا اللغة

تأليف : اميل بنفست  
ترجمة : سيزا تاسم

« ١ »

يجب أن نبذل السيمولوجيا جهداً عظيماً حتى نأخذ حيزها . « ٢ »

دي سوسير

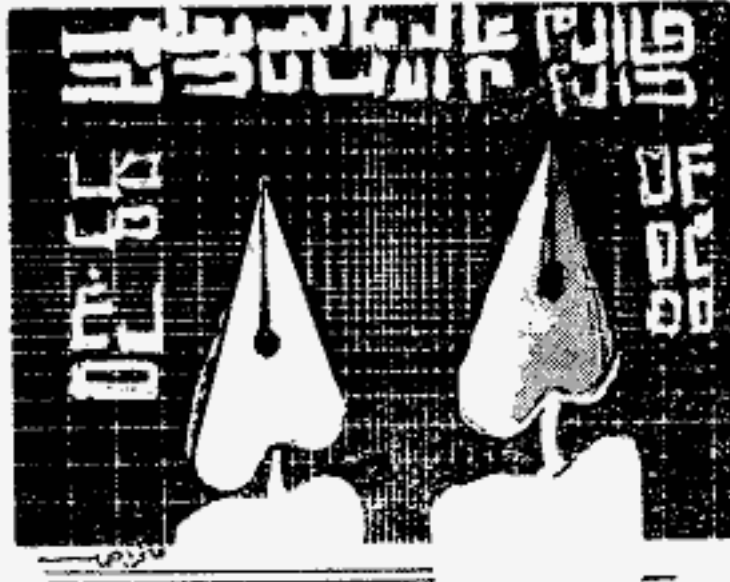
منذ أن أدرك بيرس Peirce وسوسير Saussure - وهما عالمان  
عقربان يقفان على طرفي نقيض ، وإن عمل كلاهما في نفس الفترة  
الزمنية دون معرفة أي منهما للآخر<sup>(١)</sup> - إمكانية قيام علم للعلامات ،  
ومنذ أن بدأ في تأسيسه ، ظهرت مشكلة جسيمة لم تبلور بعد في شكل  
محدد ، وذلك لأنها لم تطرح بوضوح وسط خصم الفوضى التي تسود  
مجال دراسة العلامات ، وهذه المشكلة هي : ما موضع اللغة بين نظم  
العلامات ؟

مركز تحقيق كاسيو علوم إيسدي

العلامات ، أو حتى إلى مجموعة ذات خصائص ثابتة ، فبينما تنتمي  
معظم الكلمات إلى مجموعة الرموز فإن بعضها ينتمي إلى مجموعة المؤشرات  
مثل أسماء الإشارة . وبناء على ذلك فإن بيرس يصنف أسماء الإشارة  
ضمن الإيماءات التي تقابلها في المعنى ، أي ضمن إيماءات الإشارة . ولم  
يلتفت بيرس إلى أن الإيماء ذات دلالة عالية ، بينما يدخل اسم الإشارة  
في إطار نظام معين من العلامات الشفاهية هو اللغة ، وبالذات في إطار  
نظام فرعي معين من اللغة هو اللغة القومية . ومن جانب آخر يمكن  
للكلمة الواحدة أن تلعب دور عدد من العلامات مثل العلامة الصفة  
Qualisign أو العلامة المفردة Sinsign أو العلامة النمط<sup>(٥)</sup>  
Legisign . وفي الواقع فإننا لا نرى القيمة العملية لهذه التفرقة ولا كيف  
يمكن أن تساعد عالم اللغة على بناء سيمولوجيا اللغة كنظام . إن  
الصعوبة التي تواجه من يحاول تطبيق مفاهيم بيرس - بخلاف تقسيمه  
الثلاثي المعروف الذي يظل إطاراً بالغ العمومية - هي أن بيرس يضع  
العلامة كأساس للعالم بأسره ، إذ إن العلامة هي نقطة الانطلاق التي  
يبنى عليها تعريف كل عنصر على حدة ، وهي - أيضاً - المبدأ الذي  
يحكم تفسير مجموعات العناصر ، سواء كانت هذه المجموعات مجردة أو  
ملموسة . إن الإنسان ، فيما يراه بيرس ، علامة في كليته ، وفكره أيضاً  
علامة<sup>(٦)</sup> ، وكذلك مشاعره<sup>(٧)</sup> ، ولكن هذه العلامات - في نهاية  
المطاف - لا تحيل إلا إلى علامات أخرى ، فكيف يمكن أن تحيل إلى

لقد استعار بيرس مصطلح Semeiotic من التسمية التي أطلقها  
جون لوك على العلم الخاص بالعلامات والدلالات المنبثق عن المنطق ،  
والذي كان لوك ينظر إليه باعتباره علم اللغة ، وأنفق بيرس حياته في  
تطوير هذا المفهوم . ويشهد الكم الهائل من ملاحظات بيرس على الجهد  
العنيد الذي بذله في تحليل المفاهيم الخاصة بالمنطق والرياضة والفيزياء في  
إطار السيمبوتيقا . ولقد امتد سعيه ليشمل المفاهيم الخاصة بعلم النفس  
والأديان . واستغرق تأمل بيرس وبخه في الموضوع حياته كلها . واستعان  
في سعيه هذا بجهاز عقلي من التعريفات - أخذ يزداد تعقيداً مع مرور  
الزمن - يهدف إلى تصنيف الواقع والمدرک والمعاش في مجموعات مختلفة  
من العلامات . ولكي يتوصل بيرس إلى هذا الجبر الكوفي  
للعلامات<sup>(٨)</sup> . قسم العلامات إلى ثلاث مجموعات : الأيقونات  
Icones والمؤشرات Indexes والرموز Symbols . وقد يكون هذا  
التقسيم الذي يمكن في أساس المعيار المنطق الهائل الذي بناه بيرس ، هو  
الشيء الوحيد المتبقي منه .

أما فيما يتعلق باللغة فلم يعرب بيرس عن شيء محدد أو مفصل . فإنه  
يرى أن اللغة موجودة في كل مكان وفي لا مكان في آن واحد . وإن كان  
بيرس قد أبدى اهتماماً في بعض الأحيان باللغة ، فإنه لم يأبه بالطريقة  
التي تؤدي اللغة بها وظيفتها . إن اللغة بالنسبة إليه لا تتعدى كونها  
كلمات ، والكلمات هي علامات غير أنها لا تنتمي إلى فئة خاصة من



شيء ليس علامة في حد ذاته؟ هل نستطيع أن نجد نقطة ثابتة نستطيع أن نرسي فيها العلاقة الأولى للعلامة؟ إن المعار السيميولوجي الذي أنشأه بيرس يتجاوز تعريفه. فلا بد أن يقبل النظام الاختلاف بين العلامة والمدلول عليه حتى لا يلغى مفهوم العلامة نفسه في عملية تكاثر تمتد إلى ما لا نهاية، ولا بد أيضاً أن تحتوى العلامة في نظام من العلامات، فهذا هو منبع الدلالة نفسها وشرط قيامها. ويظهر مما سبق - وعلى عكس ما يدعيه بيرس - أن العلامات في جملتها لا تعمل بنفس الطريقة، ولا تنتمي إلى نظام واحد. ولذلك فلا بد من تطوير أنظمة مختلفة من العلامات، ومن تحديد نوعية العلاقة التي تقوم بينها، فقد تكون هذه العلاقة علاقة تعارض أو علاقة تقابل.

ويظهر سوسير في هذا المقام في الموقف المقابل لبيرس سواء أكان ذلك في المنهج أو في التطبيق، ذلك لأن التأمل عند سوسير ينطلق من اللغة نفسها، ويتخذ اللغة - ولا شيء سوى اللغة - مادة لدراسته. فاللغة تدرس اللغة في ذاتها ولذاتها. ومن هنا تقع على عاتق عالم اللغة مهام ثلاث:

الأولى: هي وصف جميع اللغات المعروفة سياقياً وتزامنياً.

والثانية: هي استكناه القوانين العامة التي تحكم جميع اللغات.

والثالثة: هي تحديد مجال علم اللغة نفسه وتعريفه<sup>(8)</sup>.

ولم يأبه أحد إلى الغرابة الكامنة وراء هذا المظهر المتعقل للبرنامج، فإن هذه الغرابة هي التي تعطيه قوته وجرأته في نفس الوقت. إن المهمة الثالثة التي يسندها علم اللغة إلى نفسه هي أن يعرف نفسه. وهذه المهمة إذا أردنا أن نفهمها في شمولها تحتوى المهمتين الأوليين وتكاد تلغيبها. إذ كيف يستطيع علم اللغة أن يقرر حدوده وأن يعرف نفسه إلا من خلال تحديد مادته الخاصة - وهي اللغة وتعريفها؟ ولكن هل يستطيع علم اللغة أن يفي بالمهمتين الأخريين - اللتين وضعنا في المرتبة الأولى والثانية من التنفيذ - وهما وصف اللغات وتأريخها؟ كيف يستطيع «علم اللغة» أن يبحث عن القوى الدائمة والعالمية التي تتحكم في جميع اللغات، وأن يستكنه القوانين العامة التي تجمع بين كل الظواهر الخاصة في التاريخ؟ كيف يستطيع علم اللغة أن يقوم بهذه المهام إن لم يتم - بداية - تعريف قدراته وإمكانياته، وبالتالي قدرة العلم على إدراك طبيعة هذا الكيان الذي نسميه «اللغة» وسماته الخاصة المميزة. إن كل شيء يتوقف على هذا الشرط، ولا يستطيع علم اللغة أن يقوم بمهمة من هذه المهام مستقلة عن الأخرى، أو أن يتكفل بإحداها على أتم وجه إن لم يدرك بوعي تام الخصوصية التي تميز اللغة عن غيرها من المواد التي تدرسها العلوم. ويمكن اعتبار هذا الإدراك الواعي المنطلق الأساس الذي يسبق أية خطوات عملية أو معرفية لعلم اللغة. إذ إن المهمة الثالثة، وهي مهمة التعريف وتحديد المجال، تتفوق على المهمتين الأخريين، فلا تقوم على فرضية إتمامها، بل تفرض على علم اللغة أن يتجاوز حدود المهمتين الأوليين إلى الدرجة التي تجعل اكتناها مشروطاً باكتناها كعلم. هنا تكمن الجذوة التي يتميز بها برنامج سوسير. وتوضح قراءة المحاضرات في علم اللغة - بكل - تأكيد - أن سوسير يرى أن علم اللغة لا يمكن أن ينشأ إلا من خلال تعريفه لنفسه عن طريق اكتشاف مادته.

وينطلق كل شيء من السؤال التالي: «ما هي المادة الشاملة والملموسة لعلم اللغة؟»<sup>(9)</sup> ولقد كانت الخطوة الأولى تهدف إلى هدم الإجابات السابقة على هذا السؤال: «حيثما نظرنا فإننا لا نجد في أي مجال المادة الشاملة لعلم اللغة»<sup>(10)</sup> وبعد أن مهد سوسير الطريق على هذا النحو، وضع الخطوة الأولى لمنهجه: لا بد من الفصل بين اللغة واللسان. لماذا؟ فلنتأمل السطور التي تحتوى المفاهيم الجوهرية التي قدمها سوسير: «إذا اتخذنا اللسان في جملته فإننا نجد متعدد الأشكال غير متجانس. فاللسان ينتمي إلى عدد من المجالات المختلفة في آن واحد: فينتهي إلى المجال الفيزيقي والفزيولوجي والنفسى. كما أنه ينتمي إلى المجال الفردي والجماعي. ولذلك يصعب تصنيفه ضمن أي من المقولات الكلية التي تندرج تحتها الظواهر الإنسانية، إذ يستحيل استكناه وحدته. أما بالنسبة للغة فالأمر يختلف تماماً، فاللغة تمثل وحدة في ذاتها وتمثل أيضاً مبدأ من مبادئ التصنيف. وعندما نعطي اللغة محل الصدارة بين الظواهر اللسانية فإننا ندخل نظاماً طبيعياً على مجموعة من الظواهر لا تخضع من تلقاء نفسها لأي نوع من التصنيف»<sup>(11)</sup>.

وكان شغل سوسير الشاغل هو اكتشاف مبدأ الوحدة الذي يهيمن على تعدد الظواهر التي تسود خبرتنا باللسان. فلا يتأتى أن تصنف الظواهر اللسانية ضمن الظواهر الإنسانية إلا من خلال هذا المبدأ وحده. ويوفر اختزال اللسان في اللغة الشرط المزدوج الذي يسمح بفرض اللغة كمبدأ للوحدة من جانب، ومن ثم يسمح بإفصاح مجال لغة بين الظواهر الإنسانية. وإذا أدخلنا في مجال دراستنا مبدأ الوحدة ومبدأ التصنيف فإننا ندخل مفهومين يؤسسان - بدورهما - السيميولوجيا.

وهذان المفهومان ضروريان لتأسيس علم اللغة كعلم: فإننا لا يمكن أن ننصو نشأة علم يكون متشككاً في طبيعة مادته. متردداً في نوعية المجال الذي تنتمي إليه. ولكن بالإضافة إلى السعي وراء مزيد من الدقة والصرامة في البحث، فإن القضية تتعلق هنا بالمكانة الخاصة التي تشغلها مجموعة الظواهر الإنسانية.

وهنا - أيضاً - لم يلاحظ أحد الجذوة التي تتميز بها خطوات سوسير في البحث العلمي، فإن القضية ليست أن نقرر ما إذا كان علم اللغة أقرب إلى علم النفس أو إلى علم الاجتماع، ولا أن ننسج له مكاناً بين الفروع المعرفية القائمة، ولكن القضية يجب أن تطرح على مستوى

الإنسانية والاجتماعية . ويحدد سوسير - على هذا النحو - مجال العلامة . ولكن هذا المجال يحتوي ، بالإضافة إلى اللغة ، أنظمة مماثلة لنظام اللغة . وبذكر سوسير بعض هذه الأنظمة . والصفة المشتركة لهذه الأنظمة هي أنها أنظمة من العلامات غير أن اللغة هي « أهم هذه الأنظمة » ولكن ما وجه هذه الأهمية ؟ هل يرجع إلى أن اللغة تشغل حيزا أكبر في الحياة الاجتماعية من أي نظام آخر ؟

وإذا كان فكر سوسير يتميز بالوضوح فيما يتعلق بعلاقة اللغة بأنظمة العلامات الأخرى فإنه أقل وضوحا بالنسبة للعلاقة التي تربط بين علم اللغة والسيميولوجيا ، وهي العلم الخاص بأنظمة العلامات . ففي رأي سوسير لا بد لعلم اللغة أن يرتبط بالسيميولوجيا . وتدخل هذه - بدورها - في إطار علم النفس الاجتماعي ، وبالتالي علم النفس العام . بيد أن السيميولوجيا لم تتكون بعد كعلم ، ولا بد من الانتظار حتى تنشأ وتتناول « دراسة حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية » . وبذلك نستطيع أن نتعرف على ماهية العلامة وعلى طبيعة القوانين التي تحكمها . إن سوسير في الحقيقة يحيل تعريف العلامة إلى علم لم ينشأ بعد ، ولكنه يكتفي بتقديم أداة يستخدمها علم اللغة لتشكيل سيميولوجيته الخاصة . وهذه الأداة هي العلامة اللغوية : « إننا نرى أن المشكلة اللغوية هي مشكلة سيميولوجية قبل كل شيء ... وتستمد كل أبحاثنا دلالتها من هذه الحقيقة الهامة »<sup>(١٦)</sup> .

إن المبدأ الذي يربط بين علم اللغة والسيميولوجيا هو أن العلامة اللغوية « اعتبارية » . وهذا المبدأ هو أساس علم اللغة . ومن ثم نستطيع أن نقول بصورة عامة إن المادة الأساسية التي تتناولها السيميولوجيا هي « مجموعة الأنظمة التي تقوم على اعتبارية العلامة »<sup>(١٧)</sup> . ويترتب على ذلك أن اللغة تحتل مكان الصدارة بين أنظمة التعبير جملة .

« ويمكن القول ... إن العلامات التي تتميز بالاعتبارية المطلقة تحقق - أكثر من غيرها - العملية السيميولوجية ؛ ولهذا السبب فإن اللغة ، وهي أكثر الأنظمة التعبيرية تعقيدا وانتشارا ، هي أكثرها تمثيلا للعملية السيميولوجية . ومن هذا المنطلق يمكن أن تصبح اللغة النموذج العام لكل السيميولوجيات بالرغم من أنها نظام خاص فحسب »<sup>(١٨)</sup> .

ويظهر مما سبق أن سوسير في حين أنه يعرب بوضوح عن ضرورة ارتباط علم اللغة بالسيميولوجيا فإنه يمتنع عن تعريف طبيعة العلاقة التي تربط بينهما ، فبما عدا مبدأ اعتبارية العلامة الذي يهيمن على مجموع الأنظمة التعبيرية وفي مقدمتها اللغة . إن السيميولوجيا - كعلم للعلامات - عند سوسير لا تعدى كونها رؤية مستقبلية ، تتشكل في خطوطها العريضة على شاكلة علم اللغة .

أما عن الأنظمة التي تنتمي إلى السيميولوجيا - بالإضافة إلى اللغة - فإن سوسير يقتصر على ذكرها ، دون أن يحاول حصرها في قائمة - إذ لا يقدم أي معيار يصلح لتحديد طبيعتها : « الكتابة ، أجدية الصم والبكم ، الطقوس الرمزية ، أشكال التحية ، الإشارات الحربية إلخ ... »<sup>(١٩)</sup> وفي موضع آخر من محاضراته - في علم اللغة - يقترح إمكانية اعتبار الطقوس والعادات إلخ ... علامات<sup>(٢٠)</sup> .

معاير تماما ، ومن خلال مصطلحات جديدة كل الجدة ، تولد مفاهيمها الخاصة . إن علم اللغة ينتمي في الحقيقة إلى علم لم ينشأ بعد ، علم يتناول الأنظمة الأخرى المشابهة داخل مجموعة الظواهر الإنسانية . هذا العلم هو السيميولوجيا ويجب علينا أن نذكر الصفحة التي تصف هذه العلاقة وتحددتها :

« إن اللغة نظام من العلامات تعبر عن أفكار . ومن هنا يمكن مقارنتها بالكتابة وبأجدية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وبأشكال التحية والإشارات الحربية إلخ ... ولكنها أكثر أهمية من كل هذه الأنظمة .

ويمكن - إذن - أن نتصور نشأة علم يدرس حياة العلامات وسط الحياة الاجتماعية . وسوف يكون هذا العلم جزءا من علم النفس الاجتماعي ، وبالتالي من علم النفس العام ، وستطلق على هذا العلم اسم السيميولوجيا (من الكلمة اليونانية Semeion أى العلامة) . وسوف يكشف لنا هذا العلم كينونة العلامات ، وأيضا القوانين التي تحكمها ، ولكن لما كان هذا العلم لم ينشأ بعد ، فإننا لا نستطيع أن نتبأ بكيفية تطوره . ولكن لا بد من ظهوره ؛ فكانه محدد سلفا . وليس علم اللغة سوى جزء من هذا العلم العام ، وستطبق القوانين التي تكشفها السيميولوجيا - بلا جدال - على علم اللغة ، وبالتالي سيحدد علم اللغة نفسه مرتبطا بمجال محدد المعالم في مجموع الظواهر الإنسانية .

ويقع على عاتق عالم النفس مهمة تحديد الموضوع الصحيح الذي تحتله السيميولوجيا<sup>(٢١)</sup> . أما بالنسبة لعالم اللغة فمهمته تحديد الخصائص التي تجعل من علم اللغة نظاما خاصا وسط مجموع الظواهر السيميولوجية . وسنعالج هذه القضية في موضع لاحق . ولكن يجدر بنا هنا أن نلاحظ شيئا : إذا كنا نستطيع أن نخصص مكانا محدد لعلم اللغة بين العلوم . فهذا يرجع قبل كل شيء إلى إلحاقها بالسيميولوجيا<sup>(٢٢)</sup> و« زجج» التعليق الطويل الذي نستحقه هذه الصفحة إلى المناقشة التي سنفقدها فيما بعد . ونكتفي - هنا - بإبراز السمات الجوهرية للسيميولوجيا كما تصورها سوسير ، بل كما تلمسها قبل أن تعرض لها في محاضراته بمدة طويلة<sup>(٢٣)</sup> .

تظهر اللغة في شتى صورها في شكل ثنائي : فإذا كانت اللغة مؤسسة اجتماعية ، فإن الفرد هو الذي يستخدمها ويمارسها . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، إذا كانت تظهر في شكل حديث يتميز بالاستمرارية فإنها تتكون من وحدات مستقلة ثابتة . هذا لأن اللغة - في الواقع - مستقلة عن العمليات السمعية - الصوتية التي تنتج الكلام ، فاللغة هي عبارة « عن نظام من العلامات تستند أساسا وقبل كل شيء على الاتحاد بين المعنى والصورة الصوتية . ويتميز هذان الوجهان للعلامة (أى المعنى والصورة) بكونها نفسيين »<sup>(٢٤)</sup> فمن أين إذن تستمد اللغة وحدتها ؟ وما المبدأ الذي يحكم توظيفها ؟ إنها تستمد من خاصيتها السيميوطيقية . ويمكن استخلاص طبيعتها من هذه الخاصية ، كما يمكن ربطها بمجموعة من الأنظمة تشاركها نفس الطبيعة .

ويعتبر سوسير - مخالفا في ذلك بيرس - أن العلامة مفهوم لغوي قبل كل شيء ، ولكنه يمكن أن يتسع ليشمل أنواعا مختلفة من الظواهر

إن السمة التي تتسم بها شتى الأنظمة ، والتي تمثل المعيار الذي يجعلها تدخل في نطاق السيميولوجيا ، هي قدرتها على الدلالة أو مدلوليتها Significance ، وتكونها من وحدات دلالية أو «علامات» . ويجب علينا - الآن - أن نصنف خصائص الأنظمة المميزة .

إن النظام السيميولوجي يتميز بالخصائص التالية :

- ١ - كيفية تأدية الوظيفة .
- ٢ - مجال صلاحيته .
- ٣ - طبيعة علاماته وعددها .
- ٤ - نوعية توظيفه .

أما كيفية التأدية للوظيفة فإنها الطريقة التي يعمل بها النظام ، ولا سيما الحاسة (البصر ، السمع ، إلخ...) التي يخاطبها ، وأما مجال الصلاحية فإنه المجال الذي يفرض النظام نفسه فيه بحيث يتحتم التعرف عليه واتباعه ، وأما طبيعة العلامات وعددها فهي رهن الشروط السالفة الذكر . وفيما يتعلق بنوعية التوظيف فإن العلاقة هي التي تربط بين العلامات وتسمح كل علامة وظيفية فارقة Distinctive أو مستقلة عن الأخرى .

فلنختبر هذا التعريف على نظام من الأنظمة التي تنتمي إلى المستوى الأول ، وليكن نظام إشارات المرور الضوئية المستخدمة في الطرق :

- إن كيفية تأدية الوظيفة هي كيفية بصرية ، تكون - عامة - في النهار وفي الهواء الطلق .
- إن مجال الصلاحية هو تنقل العربات على الطريق .
- وتتمثل علامات النظام في التعارض اللوني بين الأخضر والأحمر أو في بعض الأحيان تصاحب هذا التعارض مرحلة وسيطة يشير إليها اللون الأصفر وتمثل مرحلة (انتقال) ، ولذا نجد أن هذا النظام نظام ثنائي .
- إن نوعية التوظيف هي علاقة تعاقب (ولا تكون أبدا علاقة تزامن) بين الأخضر والأحمر . وتعني : طريق مفتوح / طريق مغلق ، أو في صيغة الأمر أو إصدار التعليمات : أعبّر / قف .

وقد يتجاوز النظام حدود مجال الصلاحية الذي يعمل فيه ، أو يتحول من مجاله الأصلي إلى مجال آخر ، فيطبق على الملاحة النهرية ، أو يستخدم في تنظيم مرور السفن في القنوات ومدخل الموانئ ، أو تنظيم حركة الطائرات في ممرات المطارات إلخ... غير أن هذا يتجاوز أو التحويل لا يتم إلا في مجال الصلاحية ، دون أن يمتد إلى الشروط الثلاثة الأخرى التي تبقى ثابتة فيظل التعارض اللوني قائما كما هو ، وحاملا لنفس الدلالة . ولا ينبغي تغيير طبيعة العلامة سوى لضرورة تملها ظروف طارئة إلى أن تزول هذه الظروف<sup>(٢١)</sup> .

إن الخصائص التي يجمعها التعريف السابق تندرج تحت مجموعتين ، فالمجموعة الأولى الخاصة بكيفية التأدية ومجال الصلاحية تشكل الشروط الخارجية الإمبريقية للنظام . أما المجموعة الثانية التي

وإذا أردنا أن نلتقط خيط هذه المشكلة الهامة حيث تركها سوسير ، فلا بد من مجهود أولي في التصنيف ، وهذا من أجل تطوير التحليل وإرساء أسس السيميولوجيا .

إننا لن نتعرض هنا لمشكلة الكتابة ، حيث أننا نعتقد أن هذه القضية الهامة تتطلب معالجة منفردة . هل الطقوس الرمزية وأشكال التحية أنظمة مستقلة ؟ هل يمكن أن نضعها في نفس مرتبة اللغة ؟ إن العلاقة السيميولوجية لا تقوم في الطقوس الرمزية وأشكال التحية إلا من خلال القول : «الأسطورة» التي تصاحب الطقوس و«البروتوكول» الذي ينظم أشكال التحية . فهذه العلامات تفترض وجود اللغة التي تنتجها ونفسها لكي تتولد وتشكل في صورة نظام . فهذه العلامات هي من نوعية مختلفة عن اللغة ، وتخضع لنظام هرمي عام لا بد من تحديده . ويمكن أن نستشف مما سبق أن مادة السيميولوجيا هي العلاقات بين الأنظمة المختلفة بالإضافة إلى العلامات التي تكون هذه الأنظمة .

وقد آن لنا أن نترك العموميات وأن نتعرض للمشكلة الجوهرية التي تتمركز حولها السيميولوجيا ، وهي موضع اللغة بين أنظمة العلامات . ويجدر بنا - بدلا - أن نوضح مفهوم العلامة وقيمتها داخل المجموعات التي يمكن دراستها فيها ، إذ إننا لا نستطيع أن نرسي قواعد النظرية دون القيام بذلك . ونعتقد أن هذه الدراسة لا بد أن تبدأ بالأنظمة غير اللغوية .

- ٢ -

إن دور العلامة هو التمثيل ، أن تحمل محل شيء آخر ، أن تستدعي هذا الشيء باعتبارها بديلا عنه . ويفترض أي تعريف أكثر دقة - يتكفل بالفرقة بين الأنواع المختلفة من العلامات - تأملا حول مبدأ علم للعلامات ، حول السيميولوجيا ، ويفترض - أيضا - سعيًا نحو تشكيل هذا العلم . وإذا - تأملنا سلوكنا أو ملبسات الحياة الفكرية والاجتماعية أو ملبسات العلاقات ، أو ملبسات الإنتاج والتبادل ، لاحظنا أننا نستخدم مجموعة من نظم العلامات معا ، في كل لحظة من لحظات حياتنا : إننا نستخدم أولا - وقبل كل شيء - علامات اللغة ، وهي التي يبدأ اكتسابها مع نشوء الحياة الواعية ، ثم علامات الكتابة ، ثم علامات التحية والتعرف على الآخر والتجمع بكل أشكالها وتسلسلها الهرمي ؛ ثم العلامات التي تنظم المرور ، والعلامات الخارجية التي تشير إلى الظروف الاجتماعية ؛ والعلامات النقدية ، التي تشير إلى القيم والمؤشرات في الحياة الاقتصادية ؛ وعلامات العبادات والشعائر والعقائد ؛ وعلامات الفن بكل أشكالها وتنوعها (الموسيقى ، والتصوير والفنون التشكيلية) ، ويبدو - بجلاء ، وبدون تجاوز لحدود الملاحظة الإمبريقية - أن حياتنا بأبرزها محصورة داخل شبكات من العلامات تشكلنا إلى الدرجة التي تجعل إلغاء علامة يُخلُّ بتوازن المجتمع والفرد معا . ويبدو كأن هذه العلامات تتوالد وتتكاثر بفضل ضرورة داخلية تتجاوز - فيما يظهر - مع ضرورة نابعة من نظامنا العقلي . ومن ثم فما هو المبدأ - والأمور على هذا النحو - الذي يجب علينا أن ندخله على كل هذه التشكيلات التي تتكون بها العلامات لكي ننظمها ونحدد المجموعات المختلفة ؟

تشمل الخاصيتين الأخرين المتعلقة بالعلامات ونوعية التوظيف ، فإنها تشكل الشروط الداخلية للنظام أو شروطه السيميوطيقية . وتقبل الخاصيتان الأوليان بعض التنويعات أو التكييفات ، أما الخاصيتان الثانية فتظلان ثابتين . ويمثل هذا الشكل البنائي النسق المقنن للنظام الثنائي الذي نجده في أساليب الانتخاب التي تجرى مثلا من خلال استخدام كرات بيضاء أو سوداء ، أو من خلال الوقوف أو الجلوس إلخ .. وفي كل المناسبات التي يمكن أن تكون البدائل فيها معبرا عنها (ولكنها ليست كذلك) من خلال ألقاظ لغوية مثل : نعم / لا .

ونستطيع الآن أن نستخلص مما سبق مبدئين يحكمان العلاقات بين الأنظمة السيميولوجية المختلفة .

ويمكن أن نطلق على المبدأ الأول مصطلح مبدأ عدم الترادف Non-redonance بين الأنظمة ولا يوجد تراكف بين الأنظمة السيميولوجية ، إذ لا نستطيع أن نقول نفس الشيء بالكلمة أو بالنغم ، إذ تختلف الكلمة عن النغم من حيث هما نظامان يقومان على أسس مختلفة .

وقد يعنى ذلك أنه لا يمكن أن يحل واحد من نظامين سيميوطيقيين من نمطين مختلفين محل الآخر ، ففي الحالة المذكورة تتميز الكلمة والنغم بصفة مشتركة ، هي إنتاج الصوت ومخاطبة السمع - غير أن هذا التشابه بين النظامين لا يلغى الاختلاف الذي يظهر بين طبيعة وحداتها الخاصة ونوعية أدائها لوظيفتها - كما سنوضح فيما بعد . ويرجع سبب عدم وجود الترادف في عالم العلامات إلى استحالة تبديل نظام بآخر ، يختلف عنه في أسسه ، لأن الإنسان لا يملك عددا من الأنظمة المختلفة تحمل نفس العلاقة الدلالية .

ونستطيع في مقابل ذلك - أن نبذل بين الأبجدية الكتابية وأبجدية بريل Braille أو مورس Morse أو التي يستخدمها الصم والبكم ، ويرجع ذلك إلى أنها جميعا أنظمة ذات أساس مشترك مبني على مبدأ الأبجدية العام : إذ الحرف الواحد يساوى صوتا واحدا .

وستطيع أن نستخلص مبدأ ثانيا ، ينتج عن المبدأ الأول ويكمله : ومؤدى هذا المبدأ الثاني أنه إذا اتمت علامة واحدة إلى نظامين مختلفين فإن هذا لا يعنى أن هناك ترادفا بين النظامين أو تكرارا ، فالكيان المادى للعلامة ليس له قيمة ، إذ تكمن القيمة في الاختلاف الوظيفي للعلامة : إن اللون الأحمر الذي يتسمى إلى نظام إشارات المرور لا يمت بصلة إلى اللون الأحمر الذي يظهر في العلم الفرنسي الثلاثي الألوان : أزرق - أبيض - أحمر ، ولا يمت اللون الأبيض الذي يظهر في هذا العلم بصلة إلى اللون الأبيض الذي يشير إلى الحداد في الصين . إذ تعرف قيمة العلامة فقط ، من خلال إدخالها في النظام الذي تتسمى إليه . ومن هنا لا توجد علامة يمكن أن تعبر حدود الأنظمة المختلفة .

هل لنا أن نستنتج مما سبق - إذن - أن الأنظمة تمثل عوالم مغلقة لا تقوم بينها سوى علاقة تعايش عرضية ؟

إن علينا أن ندخل - عند هذه النقطة من النقاش - إلى ضرورة منهجية جديدة : إذ يجب أن تكون العلاقة التي تربط بين الأنظمة

السيميوطيقية ذات طبيعة سيميوطيقية ، وتحدد هذه العلاقة فاعلية الوسط الثقافي المشترك الذي ينتج ويغذى - بطرق متغيرة - جميع الأنظمة الخاصة به . إلا أن هذه العلاقة علاقة خارجية ولا يستتبعها - بالضرورة - قيام تلاحم أو ترابط بين الأنظمة المختلفة . وهناك شرط آخر : إذ يجب علينا أن نحدد ما إذا كان من الممكن أن يفسر نظام سيميوطيق نفسه بنفسه ، أو ما إذا كان يستمد تفسيره من نظام سيميوطيق آخر ، ومن ثم يمكن أن ننظر إلى العلاقة التي تقوم بين الأنظمة على أنها علاقة بين نظام مفسر ونظام مفسر . وهذه العلاقة هي التي نقترحها - على المستوى الأعلى - بين علامات اللغة وعلامات المجتمع : إننا نستطيع أن نفسر علامات المجتمع من خلال علامات اللغة وليس العكس صحيحا . فاللغة - إذن - هي مفسر المجتمع (١٢) . أما على المستوى الأدنى فإننا نستطيع أن نعتبر الأبجدية الكتابية مفسرا لأبجدية بريل Braille أو مورس Morse . وهذا بفضل اتساع مجال صلاحيتها رغم أن كلا من الأبجديات الثلاثة قابل لأن يحل محل الآخر .

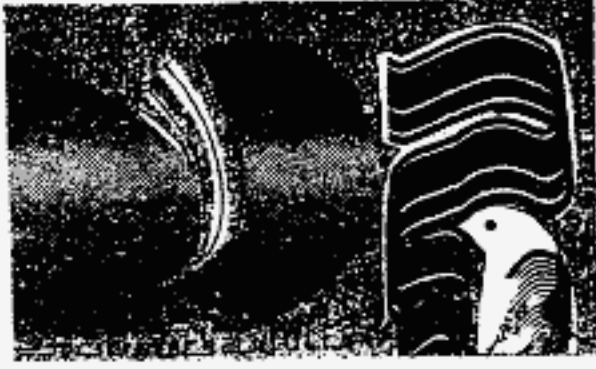
ونستطيع أن نستنتج مما سبق أن الأنظمة الفرعية داخل المجتمع تفسر أيضا من خلال اللغة . وهذا يبدو منطقيًا حيث أن المجتمع يحتويها ، كما أن المجتمع نفسه يُفسر من خلال اللغة . ونلاحظ أن هذه العلاقة غير قابلة للارتداد ، والسبب في ذلك هو أننا لا نستطيع أن نعكس عملية التفسير هذه فاللغة تحتل مكانة خاصة في عالم أنظمة العلامات . ولذا فإذا اتفقنا على الإشارة إلى مجموعة الأنظمة بحرف «ن» (أى ونظام) وإلى اللغة بحرف «ل» سوف يكون التحويل - دائما - في اتجاه «ن-ل» ولن يكون أبدا في الاتجاه العكسي . وهذا المبدأ مبدأ عام يحكم الترتيب الهرمي الذي يمكن أن يستخدم في تصنيف الأنظمة السيميوطيقية وفي بناء نظرية سيميولوجية .

ويمكننا - لكي نبرز الاختلافات بين الرتب المختلفة داخل مجموعة الأنظمة السيميوطيقية - أن نتناول من نفس الزاوية نظاما مختلفا تماما عن الأنظمة التي تحدثنا عنها ، وهو النظام الموسيقي . وستظهر لنا الاختلافات ، قبل كل شيء ، في طبيعة العلامات وفي نوعية توظيفها .

إن الموسيقى مكونة من الأصوات التي تكتسب طبيعة موسيقية عندما تسمى تسميات خاصة ، وتصنف تصنيفا خاصا كدرجات موسيقية أو «نوت» Notes . إننا لا نجد في الموسيقى وحدات يمكن مقارنتها - مقارنة تطابق - بالعلامات اللغوية . وتنظم هذه الدرجات الموسيقية داخل إطار تنظيمي هو السلم الموسيقي ، إذ تدخل هذه الدرجات إطار السلم في شكل وحدات مميزة يفصل بعضها عن الآخر ولكن يتحدد عددها بالإطار . وتتسم كل وحدة أو درجة بعدد ثابت من الذبذبات تستغرق وقتا محددًا . إن السلم الموسيقي تحتوى على نفس عدد الدرجات الموسيقية في طبقات مختلفة يحددها عدد الذبذبات في متواليات هندسية ، بينما تظل المسافات ثابتة . وقد تُنتج الأصوات الموسيقية مونوفونيا (أى مفردة) أو بوليفونيا (مجتمعة) ، ولذلك فهي توظف على حدة أو متألقة ، مها اتسعت المسافات التي تفصل بينها في سلمها المختلفة . ولا حصر لعدد الأصوات التي يمكن لمجموعة من الآلات ، تعزف معا وفي وقت واحد ، أن تنتجها . بل لا يخضع ترتيبها



أو معدل ترددها الصوتي أو نطاق تنسيقها لتحديد أو قيد . فالملحن ينظم الأصوات في «قوله» الموسيقى بحرية مطلقة ، لأن هذا القول لا يخضع لعرف «نحوي» معين بل يتبع تركيبه الخاص .



إننا نرى - إذن - ما الذي يجعل النظام الموسيقي يدرج بين الأنظمة السميوطيقية ، وما الذي يجعله يختلف عنها ، فالنظام الموسيقي يُنسق منطلقاً من المجموعة التي يمثلها السلم الموسيقي ، وهذا بدوره يتكون من الدرجات الموسيقية التي لا تكتسب قيمة تعارضية سوى داخل السلم نفسه . وليس هذا السلم سوى مجموعة تتكرر على طبقات مختلفة ، يحددها النغم Tone الذي يشير إليه المفتاح الموسيقي .

والدرجة الموسيقية هي - إذن - الوحدة الأساسية في النظام الموسيقي . هذه الوحدة هي وحدة متميزة وتعارضية ، ولكنها لا تكتسب قيمتها سوى بدخولها في السلم الموسيقي الذي يحدد جدول الدرجات الموسيقية . هل هذه الوحدة وحدة سميوطيقية ؟ قد تكون كذلك داخل نطاقها الخاص ، إذ إنها تحدد التعارضات في هذا النطاق ، ولكنها لا تمت بصلة لسميوطيقا العلامة اللغوية ، فإننا لا نستطيع أن نحولها إلى وحدات لغوية ، على أي مستوى من المستويات .

وقد نلاحظ تشابهاً آخر بين الموسيقى واللغة ، غير أنه يحمل في طياته اختلافاً عميقاً . إن الموسيقى نظام يعمل على محورين . محور التزامن ومحور التابع ، وقد يرد إلى الذهن أن ثمة تقابلاً بين هذين المحورين والمحورين اللذين تعمل عليهما اللغة ، وهما محور الاستدعاء Paradigmatique ومحور السياق Syntagmatique

غير أن محور التزامن في الموسيقى يتناقض مع مبدأ الاستدعاء في اللغة فهذا المبدأ الأخير هو - في الواقع - مبدأ الاختيار الذي يستبعد التزامن داخل المقطع اللغوي الواحد ، ومن جانب آخر لا يطابق محور التابع في الموسيقى محور السياق في اللغة ، حيث أن التابع في الموسيقى يتلاءم مع تزامن الأصوات ، وهذا التزامن لا يخضع لأي قيود سواء كان ذلك في التألف بين الأصوات المفردة أو مجموعات الأصوات أو في استبعاد هذه الأصوات . ولذلك فإن التكوين الموسيقي الذي ينتج عن التوافق Harmonie والطباق Contrepoint

لا يتوفر للغة ، حيث يخضع محور الاستدعاء ومحور السياق - على السواء - لأحكام محددة ، مثل قواعد التوافق والاختيار والتواتر الخ .. وترتب - على هذه القواعد - ظواهر التردد والتوقع الإحصائي من جانب ، وإمكانية إنتاج أقوال تفهم من جانب آخر . ولا يتعلق الفرق بين اللغة والموسيقى على نظام موسيقي معين ، أو على السلم الموسيقي المختار ، فبدخل فيه نظام الاثني عشر صوتاً المتسلسل Dodécaphonie كما يدخل فيه النظام الدياتوني Diatonie

ونستطيع القول إجمالاً : إننا إذا اعتبرنا الموسيقى «لغة» فإنها لغة تملك «تركيباً» ولكنها لا تملك سميوطيقاً . ويوضح هذا التباين بين اللغة والموسيقى سمة إيجابية وضرورية تتميز بها سميولوجية اللغة وهي سمة يجب أن نأخذها في الاعتبار .

ولنتفعل - الآن - إلى مجال آخر ، هو مجال الفنون التي يطلق عليها «الفنون التشكيلية» ، وهو مجال لا حد له ، غير أننا نكتفي - هنا - بالبحث عما إذا كانت هناك بعض التشابهات أو الاختلافات التي تلقى ضوءاً على سميولوجيا اللغة . ونصطدم - في هذا المجال - سوندا الوهلة الأولى - بصعوبة مبدئية : هل توجد سمة أساسية مشتركة بين كل هذه الفنون سوى مفهوم مبهم هو مفهوم «التشكيل» Le Plastique هل توجد وحدة شكلية يمكن تحديدها على أنها الوحدة التي تدخل في تكوين كل هذه الفنون أو في أحدها ؟ ولكن ما وحدة التصوير والرسم ؟ هل هي الشكل أم الخط أم اللون ؟ وهل هذا السؤال - إذا طرحناه بهذا الشكل - له معنى ؟

وقد آن لنا أن نضع الشروط التي تمثل الحد الأدنى للمقارنة بين أنظمة من رتب مختلفة . إذ لا بد لكل نظام سميوطيق - يقوم على العلامات أن يحتوي :

١ - قائمة محددة من العلامات

٢ - قواعد للتنسيق تتحكم في تشكيل هذه العلامات

٣ - بغض النظر عن طبيعة المقولات التي ينتجها النظام وعدد هذه المقولات .

وإذا نظرنا إلى الفنون التشكيلية في جملتها فلا يبدو أن أيًا منها يحاكي هذا النموذج . وقد نجد - على الأكثر - أن عملاً ما ، لفنان معين ، يقترب من هذا النموذج ، وفي هذه الحالة لا يتعلق الأمر بشروط عامة وثابتة ، ولكن يظل في حدود خاصية فردية ، مما يخرجنا من نطاق اللغة كنظام عام .

ويظهر - مما سبق - أن مفهوم «الوحدة» يحتل مكانة الصدارة في الإشكالية التي نحن بصدد حلها (٢٣) ، وأن أية نظرية جادة لن تشكل - إذا أسقطت أو تفادت قضية الوحدة . إذ إن كل نظام دال لا بد من أن يُعرف من الطريقة التي يُنتج بها الدلالة ، ومثل هذا النظام يجب أن يحدد الوحدات التي يستخدمها ، لكي ينتج «المعنى» ، وأن يحدد أيضاً نوعية «المعنى» المنتج .

وهكذا نواجه سؤالين :

١ - هل يمكن اختزال جميع الأنظمة السميوطيقية في وحدات ؟

٢ - هل هذه الوحدات - داخل الأنظمة التي توجد فيها - تمثل

علامات ؟

ولابد من اعتبار الوحدة والعلامة خاصيتين متميزتين فبينما تكون العلامة بالضرورة وحدة فقد لا تكون الوحدة علامة . ونحن واقفون - على أقل تقدير - من هذا القول : إن اللغة مكونة من وحدات وهذه الوحدات هي علامات . ولكن ماذا عن الأنظمة السميوطيقية الأخرى ؟

ونتناول بادئ ذي بدء الطريقة التي تؤدي بها الأنظمة المسماة جمالية - أنظمة الصوت والصورة - وظيفتها ، عامدين أن نترك جانباً - وظيفتها الجمالية . إن « اللغة » الموسيقية تتكون من تآلفات ومتتاليات من الأصوات ، مترابطة بطرق مختلفة ، إن الوحدة الأولية في هذا النظام هي الصوت ، والصوت ليس علامة ؛ فيمكن التعرف على كل صوت داخل بنية السلم الموسيقي الذي ينتمي إليه ، ولكن ما من صوت من هذه الأصوات يحمل دلالة . ونرى في هذا مثالا غمطيا لوحدات ليست علامات ، فإنها لا تشير إلى شيء إذ إنها مجرد درجات في سلم حُدِّد مدهاه اعتباريا . ونستطيع أن نقول - هنا - إننا عثرنا على مبدأ للتمييز : إن الأنظمة المبينة على وحدات تنقسم إلى أنظمة ذات وحدات دالة ، وأنظمة ذات وحدات غير دالة ، ونضع اللغة في النوع الأول ، أما الموسيقى فننتهي إلى النوع الثاني (٢١) .

ونطرح قضية وجود الوحدات نفسها للمناقشة بالنسبة للفنون التشكيلية (التصوير والرسم والنحت) ذات الصور الثابتة أو المتحركة .

ما طبيعة هذه الوحدات ؟ إذا تعلق الأمر بالألوان فعلى أن نعرف أنها تشكل سلما يمكن تخصيص درجاته الأساسية من خلال تسميتها . إنها تُعَيَّن ويشار إليها ، ولكنها لا تشير إلى شيء خارجها ، ولا توحي بشيء ثابت معروف أو محدد . إذ يختار الفنان الألوان ويخلطها ويصوغها كيف شاء على اللوحة ، ولا تتشكل هذه الألوان تشكيلا نهائيا سوى داخل التكوين نفسه . وتكتسب « دلالة » ، من حيث التقنية ، من خلال الاختيار والتنسيق . إن الفنان يخلق سميوطيقا خاصة به ويؤسس تعارضاته في خطوط يفضي عليها الدلالة من خلال تسيقها . ولا يتسلم الفنان قائمة من العلامات جاهزة مسبقا ، أو معترفاً بها ، ولا يقوم بتأسيس قائمة . فاللون - هذه المادة الخام - يشتمل على تشكيلة لا نهائية من الفوارق الدقيقة المتدرجة غير أنها لا تجد مقابلا بين « العلامات » اللغوية .

أما بالنسبة للفنون التشكيلية فإنها تنتمي إلى مستوى آخر هو مستوى التمثيل ، حيث يتألف الخط واللون والحركة ، وتدخل في مجموعات تحكمها ضرورات خاصة . إن هذه الأنظمة أنظمة متميزة ، ذات تعقيدات جمّة ، لا تتحدد وحداتها إلا بتطور سميولوجيا لانزال في مرحلة التكوين . ويجب أن نكتشف العلاقات الدالة في « اللغة الفنية » داخل العمل الفني نفسه . فالفن ليس سوى عمل معين يعث فيه الفنان بمحض

حديثه تعارضات وقها ، يتحكم فيها تحكما مطلقا ، دون أن ينتظر « إجابة » أو يحاول أن يلغي تناقضات . فالشيء الوحيد الذي يقع على عاتقه هو التعبير عن رؤية تخضع لمعايير - واعية أو غير واعية - يجسدها العمل ، ويصبح - في جملته - شاهدا عليها .

ونستطيع أن نفرق بين الأنظمة التي يطبع الكاتب الدلالة عليها ، والأنظمة التي تعبر فيها - عن الدلالة - الوحدات الأولية منفردة بمعزل عن العلاقات التي يمكن أن تدخل فيها . ونستخلص الدلالة في الأنظمة الأولى من العلاقات التي تنظم عالما مغلقا ، أما في الأنظمة الثانية فإنها ملازمة للعلامات نفسها ، فالدلالة في الفن لا تحيل أبدا إلى عُرف ، يستتبله أطراف الحوار المعنية بطريقة ماثلة (٢٢) . ويتحتم الكشف - في كل مرة - عن عناصر هذه الدلالة ، إذ لا نهاية لها من حيث العدد كما أنها ذات طبيعة تلقائية . ولذلك فلا بد من إعادة اكتشافها في كل عمل على حدة ومن ثم فإنها لا تصلح لكي تثبت في منظومة . أما الدلالة في اللغة فإنها على عكس ذلك تماما ، فهي الدلالة المحض التي تؤسس إمكان التبادل والاتصال . وبناء على ذلك فإنها تشكل إمكان قيام الحضارة نفسها .

ومع ذلك فإن المقارنة بين أداء مؤلف لموسيقى وإنتاج آخر لقول لغوي نظل مقارنة ممكنة : من خلال استخدام بعض الاستعارات ، فيصح الكلام عن « قول » موسيقى ، يقسم إلى « جمل » مستقلة ، تفصلها « فواصل » أو « وقفات » وتميز هذه الأفعال « موتيفات » يمكن التعرف عليها . وقد نبحت في الفنون التشكيلية عن مبادئ عامة « للصراف » أو « التركيب النحوي » (٢٣) ولكن شيئا يفرض نفسه بكل تأكيد ، وهو أن سميولوجيا اللون أو الصوت أو الشكل ، لا يعبر عنها من خلال اللون أو الصوت أو الشكل إذ لا بد لكل نظام غير لغوي من أن يوصف بواسطة اللغة ، فلا يمكن أن يوجد إلا من خلال سميولوجيا اللغة ، وداخل هذه السميولوجيا .

ولا يغير من الوضع أن تكون اللغة - هنا - أداة ، وليست موضوعا للتحليل ، فهذا الوضع هو الذي يحكم جميع العلاقات السميوطيقية ؛ فاللغة هي المفسر بالنسبة لكل الأنظمة الأخرى ، سواء كانت لغوية أو غير لغوية .

ونود - هنا - أن نوضح طبيعة العلاقات بين الأنظمة السميوطيقية وإمكاناتها ، ونقدم ثلاثة أنواع من العلاقات .

أولا : يمكن أن يولّد نظام نظاما آخر ، فتولّد اللغة العادية تقعد الاستنباط في المنطق والرياضة ، وتولّد الكتابة العادية كتابة بريل Braille . وتصلح هذه العلاقة التوليدية

Relation D'engendrement  
بين نظامين متغابرين ومتعاصرين ، لها طبيعة مشتركة ، فيبنى النظام الثاني انطلاقا من النظام الأول لتأدية وظيفة معينة . ويجب أن نفرق بدقة بين العلاقة التوليدية ، والعلاقة الاشتقاقية التي نفترض وجود تطور وتغير تاريخي . فالذي يربط بين الكتابة الهيروغليفية والكتابة الديموطيقية هو علاقة الاشتقاق وليس علاقة التوليد . ويعطينا تاريخ تطور الكتابة نماذج كثيرة لخط علاقة الاشتقاق هذه .

ثانياً : النمط الثاني هو علاقة التماثل

Relation d'Homologie  
التي تؤسس علاقة متبادلة بين أجزاء لنظامين سيميوطيقيين . وعلى عكس النظام الأول ، لا تُستقرُّ هذه العلاقة من النظام نفسه ، ولكنها تُسقط عليه بفضل بعض الصلات التي تكشف أو تقام بين نظامين مختلفين . وتختلف طبيعة التماثل ، فقد تكون حدسية أو استدلالية . في الجوهر أو في البنية ، ذهنية أو شعرية وعندما يقول بودلير : « إن الروائح والألوان والأصوات تتجاوب » ، فإن هذه التقابلات التي تُقَام بين الروائح والألوان والأصوات لا تخص سوى بودلير نفسه ، إذ إنها تشكل عالمه الشعري ، وتنظم الصور التي تعكس هذا العالم . أما التماثل الذي يقيمه بانوفسكي Panovsky بين العارة القوطية والفكر المدرسي<sup>(17)</sup> ، فإنه أكثر ذهنية من هذا الذي يقيمه بودلير . وبلا حظ - كذلك - التماثل بين الكتابة والحركات الشعائرية في الصين . وقد تكشف بيتان نحويتان لتركيبتين مختلفتين تماثلات ذات نطاق محدود أو منسج . إن الأمر يترتب على الطريقة التي يُحدد بها النظامان ، والمعايير التي تستخدم ، والمجالات التي يجري فيها البحث . وقد يستعمل التماثل بين نظامين - طبقاً للحالة - إما كمبدأ للتوحيد بينها - فلا يتجاوز استخدامه هنا دوراً وظيفياً - وإما لخلق نوع جديد من القيم السيميوطيقية . ولا يحدد شيء صلاحية هذه العلاقة مسبقاً ولا يحد شعبيتها شيء .

ثالثاً : والنمط الثالث من العلاقات بين الأنظمة السيميوطيقية هو

نمط علاقة التفسير  
Relation d'Interprétation  
ونطلق هذا الاسم على العلاقة التي نقيمها بين نظام مفسر ونظام مفسر . إن هذه العلاقة هي العلاقة المحورية بالنسبة للغة وتفرق بين الأنظمة المختلفة ، فتقسمها إلى أنظمة يمكن تحليلها إلى مستويين : مستوى من الوحدات الدالة (مثل المونيم في اللغة) ووحدات غير دالة (مثل الفونيم في اللغة أيضاً) وأنظمة لا تحلل إلا إلى مستوى واحد غير دال ، يكتسب دلالاته من ربطه بنظام آخر . ومن هنا يمكن أن نقدم - ونبرر في نفس الوقت - المبدأ القائل بأن اللغة هي المفسر الوحيد لجميع الأنظمة السيميوطيقية ، إذ لا يملك نظام آخر « لغة » يستطيع أن يصف ويفسر نفسه من خلالها مطلقاً من تقسيماته السيميوطيقية (أي من خلال تحليله إلى علامات) سوى « اللغة » التي تستطيع ، من حيث المبدأ ، أن تصنف وتفسر كل شيء بما فيه نفسها .

ونرى - هنا - كيف تختلف العلاقة السيميولوجية عن أية علاقة أخرى ، خصوصاً العلاقة الاجتماعية . وإذا طرحنا السؤال حول وضع اللغة بالنسبة للمجتمع - وهو موضوع أثار الكثير من المناقشات - وحول نوعية ارتباطها ، سنلاحظ أن عالم الاجتماع ، ومن يسلك مسلكه ينظر إلى المسألة من زاوية تباعد كل من المجتمع واللغة وأن اللغة تعمل داخل المجتمع الذي يحتويها ، ولذلك فإن عالم الاجتماع يقرر أن المجتمع هو الكل ، واللغة هي الجزء . بيد أن النظرة السيميولوجية تعكس هذه العلاقة ، لأن اللغة - وحدها - هي التي تسمح بوجود المجتمع ، فاللغة هي التي تجمع البشر معاً ، وهي أساس جميع العلاقات التي تؤسس بدورها المجتمع . ويمكن القول - إذن - إن اللغة هي التي تحوي المجتمع<sup>(18)</sup> ، ولذلك فإن العلاقة السيميوطيقية ، وهي علاقة التفسير ،

تعكس العلاقة الاجتماعية ، وهي علاقة الاحتواء التي تُموَّضِع العلاقات الخارجية ، وتُشَيِّ اللغة والمجتمع على السواء ، بينما تربط علاقة التفسير بينها وفقاً لقدرتها على تشكيل نفسها في نظام سيميوطيقي . ويتحقق من هذا معيار أشرنا إليه آنفاً عندما حاولنا تحديد طبيعة العلاقات بين أنظمة سيميوطيقية مختلفة ، ووجدنا أن هذه العلاقات لا بد أن تكون ذات طبيعة سيميوطيقية . ونجد أن علاقة التفسير اللعكسية التي تجعل اللغة تحتوي الأنظمة الأخرى تخضع لهذا المعيار . تعطينا اللغة النموذج الوحيد لنظام يمكن وصفه بأنه سيميوطيقي في بنيتها الشكلية وفي تأديته لوظيفته . فاللغة :

- ١ - تتمثل في القول الذي يحيل إلى موقف ما ، فإذا تكلمنا فإننا نتكلم دائماً عن شيء ما .
- ٢ - تتكون - من حيث الشكل - من وحدات مستقلة تمثل كل واحدة منها علامة .
- ٣ - تُنتج اللغة وتُستقبل في إطار قيم إشارية مشتركة بين أعضاء المجتمع واحد .
- ٤ - تمثل اللغة التحقق الوحيد للاتصال بين ذات المتكلم وذات المخاطب .

وتمثل اللغة ، لهذه الأسباب مجتمعة ، التنظيم السيميوطيقي الأمثل ، وتعطينا فكرة واضحة عن وظيفة العلامة ، كما تفرد بتقديم صورتها المتكاملة . ويترتب على هذا أنها - هي دون غيرها - تستطيع أن تُضفي - وتضفي بالفعل - صفة الأنظمة الدالة على مجموعة أخرى من العلامات . وذلك بأن تعطيها شكلاً خاصاً ، هو شكل العلاقة التي تميز العلامة نفسها . وتقوم اللغة بدور خاص بالنسبة للأنظمة الأخرى ، فهي تدخل هذه الأنظمة في القالب السيميوطيقي ، إذ لا يمكن تصور هذا الدور خارج نطاق اللغة . فإن طبيعة اللغة الخاصة ، ووظيفتها التصويرية ، وقدرتها الديناميكية ، ودورها في حياة العلاقات تجعل منها النموذج السيميوطيقي الأعلى والبنية التي تشكل الأنظمة الأخرى التي تستق من هذه الأنظمة سماتها ونوعية فاعليتها .

ولنا أن نتساءل من أين تستمد اللغة هذه الخاصية ؟ هل نستطيع أن نستشف السبب الذي يجعل من اللغة المفسر بالنسبة لكل نظام دال ؟ هل يحدث هذا لأن اللغة أكثر الأنظمة انتشاراً ، وأوسعها نطاقاً ، وأعمها استخداماً وأشملها كفاءةً عملياً ؟ إن الأمر على عكس ذلك تماماً : إن هذه المكانة البارزة التي تحتلها في مجال التوصيل العملي هي نتيجة وليست سبباً لتمييزها بين الأنظمة الدالة . ويرجع هذا التمييز إلى سبب سيميولوجي ، وينكشف لنا هذا السبب عندما ندرك أن اللغة تدل بطريقة خاصة تفرد بها ، وتختص بها دون غيرها ، طريقة لا تتأثر فيها مع أي نظام آخر . إن اللغة تنهض بدلالة مزدوجة ، ولا نظير لهذا النموذج بين الأنظمة كلها . إن اللغة تجمع بين أسلوبين مختلفين للدلالة وسوف نطلق عليها الأسلوب السيميوطيقي Simiotique من جانب والأسلوب السيميوطيقي Semantique من جانب آخر<sup>(19)</sup> .

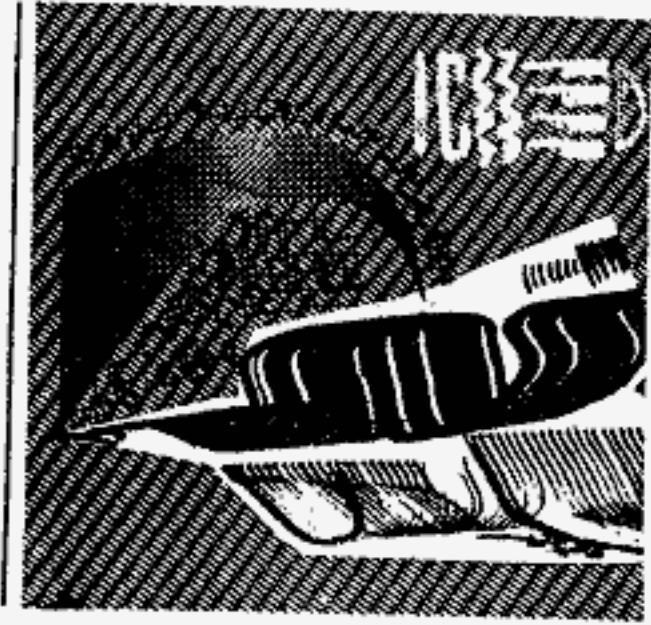
عكس ذلك ، إن المعنى « المقصد » ( l'Intente ) المدرك في كليته هو الذي يتحقق وينقسم إلى « علامات » خاصة هي « الكلمات » . ومن جانب آخر فإن السيمنتيقا تأخذ في عين الاعتبار - بالضرورة - مجموع الحقائق التي تشير إليها العلامات بينما تظل السيميوطيقا - من حيث المبدأ - منفصلة ومستقلة تماما عن المشار إليه في الواقع . إن مجال السيمنتيقا يشاكل عالم القول والحديث .

ومما لا شك فيه أننا نواجه هنا مجالين مختلفين من المفاهيم وعالمين ذهنيين متغايرين تماما . ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال الاختلاف الذي يفصل بينها بالنسبة لمعيار الصلاحية الذي يتطلبه كل من هذين العالمين . ففي السيميوطيقا يجب التعرف على العلامة ، أما في السيمنتيقا فيجب فهم القول . ويحيل الفرق بين التعرف والفهم إلى ملكتين مختلفتين في الذهن : ملكة إدراك التماثل بين السابق والحالي من جانب ، وملكة إدراك معنى قول جديد من جانب آخر . وكثيرا ما تنقسم الملكتين في بعض الأشكال المرصية لاستخدام اللغة .

إن اللغة هي النظام الوحيد الذي تتحقق دلالاته على المستويين ، بينما لا تملك الأنظمة الأخرى سوى بعد دلالي واحد : إما بعد سيميوطيق بلا سيمنتيقا (مثل التحيات) وإما بعد سيمنتيق بلا سيميوطيقا (مثل أشكال التعبير الفني) . وتكمن ميزة اللغة الكبرى في أنها تشمل دلالة العلامات المفردة ودلالة القول في آن واحد . ومن هنا تستمد قدرتها الفائقة على خلق مستوى ثان من القول ، يمكن من صياغة كلام دال حول الدلالة نفسها . ونجد في هذه الملكة الميتالغوية Metalinguistique أصل علاقة التفسير التي تجعل اللغة قادرة على استيعاب الأنظمة الأخرى .

لقد أرسى سوسير أسس السيميولوجيا اللغوية ، عندما عرّف اللغة على أنها نظام من العلامات . ولكن يظهر لنا - الآن - أن العلامة بالرغم من أنها تطابق الوحدات اللغوية الدالة فهي لا تصلح لتكون المبدأ العام الذي يتحكم في أداء اللغة وظيفتها القولية . وإذا كان سوسير لم يغفل الجملة تماما ، إلا أنها كانت تمثل حجر عثرة بالنسبة إليه ، ولذلك أحالها إلى مجال « الكلام » Le Parole<sup>(٢٠)</sup> ولكن هذه الإحالة لا تحل المشكلة . فالواقع أن عالم العلامة عالم مغلق إذ إن الانتقال من العلامة إلى الجملة مستحيل فإنه لا يتم من مجرد التركيب السياقي أو غيره من التراكيب ، فهناك فجوة تفصل بين العلامة والجملة . ولا بد من التسليم بأن اللغة تشتمل على مجالين منفصلين ، يتطلب كل منهما مجموعة من المفاهيم الخاصة . أما بالنسبة للمجال الذي أطلقنا عليه اسم السيميوطيقا فنصلح له نظرية سوسير كنقطة ينطلق منها البحث ، ولكن لا بد من النظر إلى مجال السيمنتيقا على أنه مجال منفصل تماما عنه . ولذلك يتطلب تناوله مجموعة جديدة من المفاهيم والتعريفات .

ومن الغريب أن مفهوم العلامة ، وهو الأداة الذهنية التي خلقت السيميولوجيا ، قد ساهم في تجميدها وأوقعها في مأزق ، فمن جانب لم يكن من الممكن إبعاد مفهوم العلامة دون إلغاء أكثر خصائص اللغة أهمية ، ومن جانب آخر لم يكن من الممكن بسط هذا المفهوم ليشمل القول في جملته دون هدم تعريفها على أنها الوحدة الصغرى المكونة للغة .



أما السيميوطيقا فإنه يشير إلى أسلوب الدلالة الخاص بالعلامة اللغوية ويجعل منها وحدة مستقلة . وقد انفصل - طبقا لمقتضيات التحليل - بين وجهي العلامة ، وهما الدال والمدلول ، بيد أن العلامة تظل - قبل كل شيء - وحدة لا يمكن تجزئتها من حيث الدلالة نفسها . إن السؤال الوحيد الذي تثيره العلامة لكي نتعرف عليها هو السؤال المتعلق بوجودها ولا يجاب عن هذا السؤال سوى بلا أو نعم . فالوحدات التالية هي علامات : شجرة - أغنية - غسل - عصب - أصفر - على ، أما الوحدات التالية : شجرة - أغنية - غسل - أصفر - بعض - أصفر - لعى ، فإنها ليست علامات ، إذ إننا لا نستطيع أن نتعرف عليها . وبعد التعرف المبدئي على العلاقة يمكن مقارنتها بوحدات أخرى لتحديد معالمها ، فقد نقام المقارنة بينها وبين وحدات أخرى قريبة منها في البنية الصوتية مثلا ، فيمكن أن نقارن بين الأزواج التالية : صعد : سعد أو صعد : صعب أو صعد : صدع . ويمكن أن نقام المقارنة من حيث الدلالة ، فيمكن - مثلا - أن نقارن بين : صعد : طلع أو صعد : تسلق أو صعد : ارتفع . وتتركز الدراسة السيميوطيقية ، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، حول التعرف على الوحدات المكونة للنظام ، وعلى وصف صفاتها الخاصة ، وعلى اكتشاف المعايير الدقيقة التي تفرق بين علامة وأخرى ، وسوف نكتسب كل علامة ، بفضل هذه الدراسة ، دلالة أكثر خصوصية داخل كوكبة من العلامات أو وسط مجموعة العلامات العريضة . وإذا أخذنا العلامة في ذاتها فإنها تغدو كيانا مستقلا تماما ومساربا لنفسه ، في تعارض مطلق مع العلامات الأخرى ، فتصبح العلامة هي الأساس الدال للغة والمادة الخام التي لا غنى عنها للقول . وتكتسب العلامة صفة الوجود عندما يتعرف عليها مجموع أعضاء مجتمع ما كوحدة دالة توحى بنفس الشيء - جملة - وتستدعي نفس التداعيات ونفس التعارضات . وهذا هو مجال السيميوطيقا ومعارها .

وإذا دخلنا السيمنتيقا مجالا خاصا من الدلالة يولدها « القول » Discours . وتتعلق المشاكل التي تطرح نفسها - هنا - باللغة عندما تستخدم في إنتاج الرسائل . ومن الجدير بالملاحظة أن الرسالة لا تختزل إلى متالية من العلامات تقوم بالتعرف عليها ، كل على حدة . ذلك لأن إضافة العلامات الواحدة إلى الأخرى لا تنتج إدلالة ، بل ، على

ثانياً : في التحليل غير- اللغوي Translinguistique للتصويع والأعمال من خلال تطوير شرح دلالي ينطلق من سيميوتيقا القول .

وستكون هذه السيميولوجيا جيلا ثانياً ، فتستطيع بأدواتها ومنهجها أن تساهم في تطوير فروع أخرى من السيميولوجيا العامة .

وختاماً فلا بد من تجاوز المفهوم السوسيري للعلامة كوحدة فريدة تثرب عليها بنية اللغة وأدائها لوظيفتها معاً . ويمكن أن يتم هذا التجاوز من خلال مسلكين :

أولاً : في التحليل داخل اللغة Intra - Linguistique نفسها من خلال إدخال بعد جديد للدلالة سميناه البعد السيميوتيق ، يتعلق بالقول ويختلف عن دلالة الوحدة المفردة ، التي تسمى إلى السيميوتيقاً .

## ● هامش

- C. L. G. p. 33-34. (١٣) SEMIOTICA, LA HAYE, MOUTON, I (1969), 1, pp. 1-12 et 2, pp. 127-135.
- ظهر المفهوم والمصطلح في ملاحظة مخطوطة لسوسير بتاريخ ١٨٩٤ ونشرها (١٤) CAHIERS FERDINAND DE SAUSSURE, 15 (1957), p. 19
- R. GODEL في المصادر المخطوطة ، ص ٤٦ . (١٥) Charles S. Peirce (1839-1914); Ferdinand de Saussure (1857-1913)
- C. L. G. p. 32. (١٥) وإن الجبر الكوني الذي أقترحه بما فيه من مؤشرات ضمنية و ٤ و ١١ ، قابل لأن يوسع حتى يشمل كل شيء . ولذلك فإن نظام الرسم البياني الوجودي يظل أفضل وإن لم يصل إلى درجة الاكتمال الأمثل .
- C. L. G. p. 34-35. (١٦) Peirce, Selected Writings, ed. Phillip P. Wiener (Dover Publication, I 1958, p. 389).
- C. L. G. p. 100. (١٧) العلامة - كما تظهر في حد ذاتها - هي أولاً : من طبيعة الظواهر عندما أطلق عليها
- C. L. G. p. 101. (١٨) Qualisign أى العلامة الصفة ، ثانياً : شيء أو حدث مفرد عندما أطلق عليها
- C. L. G. 25. (١٩) Sinsign أى العلامة المفردة (حيث أن مقطع Sin هو المقطع الأول من Semel بمعنى مرة واحدة و Simul بمعنى مما Singular بمعنى مفرد إلخ ... ) ثالثاً : من طبيعة
- C. L. G. p. 35. (٢٠) Semel أى العلامة المفردة (حيث أن مقطع Sin هو المقطع الأول من Semel بمعنى مرة واحدة و Simul بمعنى مما Singular بمعنى مفرد إلخ ... ) ثالثاً : من طبيعة
- قد تعرض العرائق المادية (مثل الضباب) وسائل إضافية . فقد تستخدم إشارات صوتية بدلا من الإشارات الصوتية ولكنها وسائل مؤقته لا تغير الشروط الطبيعية . تعالج هذه النقطة بالتفصيل في موضع لاحق .
- استبعدنا من هذه الصفحات عرض النظريات السابقة . حيث أننا نعرضها عن وجهة نظرنا الخاصة وقد رأينا أنه ليس من المفيد ولا حتى من الممكن أن نقل هذه الصفحات بمثل هذا العرض . والقارئ للطلع يتلمس بكل تأكيد الفرق الذي يفصل بينا وبين لويس هلمسلف Louis Hjelmslev على وجه الخصوص حول النقاط الجوهرية في النظرية السيميوتيقية . إنه يعرف ما يطلق عليه Semiotics على أنه تصنيف هرمي يقبل أي من أجزائه المكونة تحليله إلى أبواب تعرف من خلال علاقتها المتبادلة ، بحيث يمكن تحليل هذه الأبواب بدورها إلى مشتقات تعرف من خلال قدرتها على أن تحمل كل منها حمل الأخرى .
- (Prolegomena to a Theory of language, trans. whitfield «1961», 106).
- ولا يقبل هذا التعريف سوى داخل إطار نظرية اللغة العامة التي وضعها هلمسلف والتي أطلق عليها Glossématique والواقع أن ملاحظات هلمسلف حول موضع اللغة داخل البنيات السيميوتيقية وحول الحدود التي تفصل بين السيميوتيق والسيميوتيق تعكس موقفا غير محدد وغير ثابت .
- (op. cit., p. 109) . ونؤيد الاقتراح الذي يقدمه هلمسلف حول ضرورة جمع الفروع المعرفية السيميوتيقية داخل نظرية شاملة عندما يقول : «إن النظر إلى الفروع المعرفية المختلفة من زاوية مشتركة يبدو لي ضروريا ومثمرا ، وهذا بالنسبة لدراسة الأدب والفن والموسيقى والتاريخ العام وأيضاً المنطق والرياضة ، وذلك حتى تتركز دراسة هذه العلوم انطلاقاً من هذه النظرة الشاملة - حول طرح للمشاكل بحدود لغوية
- (op. cit. p. 108) . ولكننا نرى أن هذا البرنامج العريض سيظل حليماً طالما لم تطور الأسس النظرية للمقارنة بين الأنظمة وهذا ما نحاول أن نحققه هنا . وبعد هلمسلف يوضع مستويات التحصر Ch. Morris على ملاحظة أن عدداً
- (١) ... إن الكلمة أو العلامة التي يستخدمها الإنسان هي الإنسان نفسه . وبما أن كل فكرة هي علامة وبما أن الحياة ما هي إلا مجرى من الأفكار ، يصبح الإنسان - بالتالي - علامة . وبما أن كل فكرة هي علامة خارجية فإن هذا مزاؤه أن الإنسان نفسه علامة خارجية .
- Peirce, op. cit., p. 39.
- (٢) ... إن الكلمة أو العلامة التي يستخدمها الإنسان هي الإنسان نفسه . وبما أن كل فكرة هي علامة وبما أن الحياة ما هي إلا مجرى من الأفكار ، يصبح الإنسان - بالتالي - علامة . وبما أن كل فكرة هي علامة خارجية فإن هذا مزاؤه أن الإنسان نفسه علامة خارجية .
- Peirce, op. cit., p. 71.
- (٣) يؤيد كل ما نتم به في نفوسنا إحساساً ، أي كانت مسألة هذا الإحساس . وهذا الإحساس هو علامة على الشيء ومحمول عليه .
- Peirce op. cit. p. 67.
- (٤) F. de Saussure, Cours de Linguistique Générale, (C. L. G.) 4e ed. p. 21.
- (٥) C. L. G. p. 23.
- (٦) C. L. G. p. 24.
- (٧) C. L. G. p. 25.
- (٨) هنا سوسير يحيل إلى Ad. Naville في كتابه .
- Classification des sciences; 2e ed. p. 104.

العلاقات بين علامات مختلفة ٢

- (٢٦) يناقش **Ch. Metz** إمكانية تطبيق التصنيفات السيميولوجية على نقيبات الصورة ووصفة خاصة السينما.
- Ch. Metz, Essai sur la signification au cinéma (Paris, 1968) pp. 66 sq; 84 sqq., 95 sq.**
- وابتكر **J. L. Scheffer** قراءة سيميولوجية للأعمال المصورة ويحاول أن يحلل الصورة كما يحلل «النص».
- J. L. Scheffer, Scénographie d'un tableau (Paris 1969)**
- وتشير هذه الأبحاث إلى بقطة تأمل أصيل ومبتكر في مجال السيميولوجيا غير اللغوية وتصنيفها.
- (٢٧) **Erwin Panofsky, Architecture gothique et pensée scolastique, trad. p. Bourdieu (Paris 1967), 104 sq.; cf. p. Bourdieu, Ibid, 152 sq.**
- (٢٨) تناول هذه العلاقة بزبد من التفصيل في بحث قدمناه في أكتوبر سنة ١٩٦٨ إلى **Convegno olivetti**
- (٢٩) لقد قدمت هذه التفرقة بين المصطلحين لأول مرة في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الثالث عشر لجمعية فلسفة اللغة الفرنسية الذي عقد في جنيف في ٣ سبتمبر ١٩٦٦ ونشر عرض هذا المفهوم في وثائق هذا المؤتمر. وتمثل هذه الدراسة إتماماً للتحليل الذي قدمناه سابقاً تحت عنوان «مستويات التحليل اللغوي». وكان بودنا - لكي نوضح هذه التفرقة أن نختار مصطلحين لا يربط بينهما شبه مثل **Semiotique, Semantique** حيث أنها مستخدمتان هنا بمعنى اصطلاحى. غير أننا نرى أنها كان لا بد أن يوحيا بمفهوم «SEMA» أعلامته الذي يتسميان إليه بشكل أو بآخر. ولكن هذه القضية في المصطلحات لن نغف عانقا أمام الذين ينظرون إلى التحليل في شموله.
- C. L. G. pp. 148-172.**
- R. Godel, Current Trends in Linguistics III, Theoretical Foundations (1966), 490 sq.**

من اللغويين - الذين يذكر بعضهم - يعتبرون علم اللغة جزءاً من السيميولوجيا ولكنه لا يحدد طبيعة هذه العلاقة.

(Charles Morris, Signification and Significance (1969), p. 62)

(٢٤) يؤكد **Roland Harweg** أن المدخل النظرى لدراسة العلامة لا يتلاءم مع دراسة الموسيقى، فهذا النهج لا يستطيع أن يقدم للموسيقى سوى مقولات في صيغة النقي بالمعنى المنطق لا التقيسى لهذا المصطلح. فهذا النهج يقول (إن للموسيقى ليست نظاماً دالاً وتمثيلاً مثل اللغة)

**Roland Harweg, «Language and Music, an Immanent. and Sign Theoretic Approach» (Foundations of Language, 4 «1968», 270 sq.)**

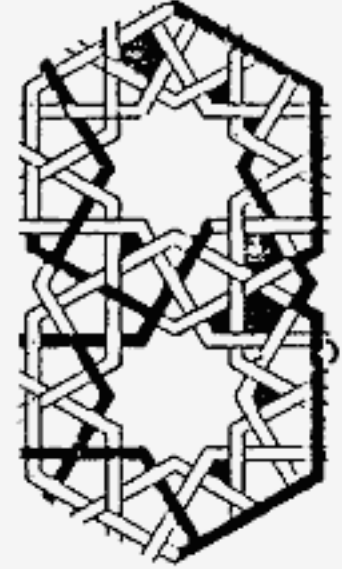
ولم يقدم هروج ما يزيد هذا الرأى من إطار نظرى متكامل. إن المشكلة التي نحن بصدد مناقشتها هنا هي مشكلة صلاحية العلامة داخل الأنظمة السيميوطيقية المختلفة.

(٢٥) **Mieczyslaw Wallis, «Medieval Art as Language», Actes du 5e Congrès international d'esthétique (Amsterdam, 1964), 427 n., «La notion de champ sémantique et son application à la théorie de l'Art». Sciences de l'art, numéro spécial (1966), 3 sq.**

يقدم واليس **Wallis** بعض الملاحظات المفيدة حول العلامات الأيقونية ويوجه خاص في فنون القرون الوسطى: إنه يتلمس فيها «معجماً» و «قواعد تركيب». وما لا شك فيه أننا نستطيع أن نتعرف في تحت القرون الوسطى على لغوات من الأيقونات، تماثل بعض المواضيع الدينية والتعاليم الدينية والأخلاقية. وهذه الأيقونات هي في الحقيقة رسائل تقليدية تنتج داخل طوبولوجيا تقليدية أيضاً، محددة مسبقاً حيث تحتل الأشكال المختلفة مواضع محددة لها رمزية، وذلك نقاشياً مع تصورات مألوفة. وبالإضافة إلى ذلك فإن المشاهد التي تظهر فيها صور بشرية ما هي إلا تصوير لبعض الحكايات والقصص الرمزية، فتحاكى قولاً صريحاً لغويًا في الأصل. إن المشكلة الحقيقية في مجال السيميوطيقا - التي لم نطرح بعد على قدر علمية - هي البحث عن كيفية تحويل القول اللغوي إلى تمثيل أيقوني. وما هي العلاقات التي تربط بين نظام وآخر، وهل يؤدي البحث عن تماثلات بين الأنظمة المختلفة إلى تحديد

علوم إسلامية

مكتبة جامعة القاهرة  
بنيان دار العلوم الإسلامية



فصول  
فصول